# الحالة الفكرية القائمة للحركة الإسلامية

**هذا التقرير كان من الطبيعي أن يكون عملاً مؤسسياً إسلامياً يملك النظرة الجامعة لمواقع الحركة الإسلامية وبديلاً عن هذا الوضع الطبيعي فإن هذا التقرير يعتبر تقريراً مفتوحاً لكل صاحب إضافة أو تصحيح في أي موقع من مواقع الصراع الإسلامي مع الجاهلية في العالم.**

الشيخ الداعية/رفاعي سرور

العنصر الأول

**الوصول لمرحلة الكمال المنهجي:**

والكمال المنهجي نعني به تحديداً اجتماع الأساسيات الضرورية لتحديد المنهج وهي:

- الأساسية العقدية منطلق العمل.
- الأساسية الشرعية وهي الضابط الفقهي للعمل.
- والأساسية الحركية الصيغة الواقعية للعمل.
- والأساسية القدرية ارتباط العمل بالسنن الثابتة وحديث آخر الزمان وعلامات الساعة.

والأساسية السياسية توازنات العمل المحققة للأهداف ولكن الأمانة تقتضي القول بأن ظهور هذه الأساسيات في الواقع لم يكن بهذا الترتيب النظري الصحيح .. حيث برزت دعوة الإخوان من خلال الأساسية الحركية فقدمت نموذجاً لا مثيل له في البناء التنظيمي للجماعة .. ونماذج لا يعلى عليها في أساليب الحركة التي أظهرت على ضفاف القناة منهجاً حركياً تاريخياً في حرب الإنجليز وقدرات تكتيكية عسكرية هائلة في حرب اليهود..

ولم يكن الواقع يسمح بخلاف عقيدي حول العدو حيث أن كفر الإنجليز واليهود كان أساس الاندفاع العسكري لتحقيق المواجهة.

ولكن قيام الحركة الخبيثة -ثورة يوليو١٩٥٢- أنشأ ضرورة الحكم على العدو الجديد .. لينشأ معها الأساسية العقيدية التي اكتملت في كتابات الأستاذ سيد قطب.

ولكننا نعترف أن إنشاء الأساسية العقيدية كان على حساب المستوى الحركي للدعوة بعد توقف الحركة بسبب الخلاف والسجون.

لتبدأ الدعوة بعد توافر الأساسية العقيدية بخبرة ضعيفة تمثلت في عدة محاولات لم تدخل منها في حيز التنفيذ -وفي البداية- سوى بعض المحاولات وذلك بعد انقطاع الصلة العملية بين أصحاب المستوى الأول في الحركة بسبب سجنهم وأصحاب المحاولات الأخيرة الذين بدءوا بخبرتهم وإمكانياتهم الذاتية.

كما نعترف أن البداية الجديدة للأساسية الحركية بخبرة المبتدئين وإمكانياتهم الذاتية أظهرت خطأ حركياً عظيماً.

وهو الارتكاز على الخبرة الشخصية والذكاء العقلي والفكر البوليسي، حتى بلغ الأمر أن تكون كل مراجع الحركة أجنبية مثل كتابات حرب العصابات وتجارب الكفاح المسلح التي لا تمت للإسلام بصلة.

الأمر الذي نشأت به الأساسية الثالثة وهي الأساسية الشرعية الداعية إلى الالتزام بالدليل الشرعي في كل مراحل الدعوة، وضرورة أن يكون لأصحاب الدعوة سلف في كل موقف وتصرف.

والاهتمام بالعلم الذي يتوافر به الأدلة حتى لا تكون دعوة إلى إقامة المجتمع المسلم وهي تفتقد شرعية حركتها وسلفية منهجها.

وهي أساسية جوهرية أسهمت بصورة طيبة في تأصيل الدعوة من حيث قضيتها وأسلوب جمع الناس حولها.

ورغم أن هذا التأصيل قد تم من خلال الأساسية العقيدية، فكان لأصحاب سلفية الدعوة فضل تثبيت هذا التأصيل الشرعي في الواقع، بسبب تواجدهم في هذا الواقع بصورة واسعة.

وأخيراً ونحن نواصل تحليل أساسيات المنهج الكامل من حيث الواقع يفيد الانتباه إلى هذه الحقيقة وهي أن الخطأ والصواب كان احتمالاً قائماً على جميع من حاول إبراز أساسية من هذه الأساسيات إلى الواقع.

ولكن قيام الاحتمال لا يلغي فضل المحاولة .. وهذا ما كان واضحاً في إبراز الأساسية القدرية بصورة كبيرة، وذلك لأن الفشل المتلاحق لتجارب الدعوة في مصر جعل أصحاب الدعوة يبحثون عن علة هذا الفشل فكانت أهم محاولة للبحث هي الاتجاه القائل بأن الدعوة لها أسباب وسنن يجب ارتباط منهج الحركة بها . كما يجب ارتباط منهج الحركة بأحاديث آخر الزمان وعلامات الساعة.

وقد كانت المحاولة خاطئة، لأنها لم تحقق الارتباط الصحيح بين منهج الحركة والسنن الثابت وأحاديث آخر الزمان وعلامات الساعة. ولكن فضل إبراز هذه الأساسية لم يذهب معها، حيث التقط آخرون هذا التوجه الحركي ليعالجوا أخطاء المحاولة ويحددوا التصور القدري الصحيح لمنهج الحركة.

وما أن بلغت الدعوة هذه المرحلة المنهجية الهائلة والتي توافرت واستقرت فيها الأساسية العقيدية والحركية والشرعية والقدرية حتى انطلقت بكل قوتها وبكل استعدادها للبذل والتضحية، حيث تجاوزت الدعوة رحلة الجدل وغموض السبيل وقصر الرؤية الصحيحة للعمل، الأمر الذي تطلب إبراز الأساسية السياسية ضبط القوة وتوجيه الاستعداد، ليتحقق أكبر قدر من الأهداف بأقل قدر من التضحية حتى لا تتجاوز التضحيات المبذولة حجم الأهداف المحققة.

## تجاوز مشكلات الفكر التاريخية

العنصر الثاني

**● تجاوز المشكلات الذاتية العارضة:**

ولعلنا نلاحظ من خلال وصول الحركة الإسلامية إلى مرحلة الكمال المنهجي أن مشكلات النزاع التي كانت قائمة بذاتها في واقع الحركة وكان لها أثرها المعوّق نلاحظ أن هذه المشكلات كانت ناشئة عن الغموض الذي انطلق منه أصحاب الدعوة في البداية، وهم يفتقدون التصور الكامل عنها حيث كانت قضية الحاكمية هي كل أبعاد التصور الذي انطلقت منه الحركة رغم أهميتها العقيدية إلا أن الأمر كان يتطلب معها هذه الأساسيات المذكورة.

لقد كان خطراً عظيماً مرت به الدعوة حيث كان التحرك بغير المنهج الكامل لأن انطلاق الحركة من الفكر المحدود قيّد هذه الحركة وأنشأ فيها تناقضات لا سبيل لمعالجتها إلا بكمال المنهج ..

ومن ناحية أخرى .. فإن إنشاء الواقع الاجتماعي من خلال هذا الفكر المحدود جعل هذا الواقع الاجتماعي غير مستقر فتفككت أسر وضاعت ذرية بسبب نزاع قضية كان من السهل حسمها بمنظور الكمال المنهجي..

وكان مقدار خسائر انطلاق الحركة وبناء الواقع الاجتماعي من الفكر المحدود فادحاً لأن جدية الانطلاق لم تسمح بالانفصال بين الفكر المحدود والحركة فكذلك بين الفكر المحدود والبناء الاجتماعي.

ورغم هذه الخسائر الفادحة فإننا نعتبر أنها كانت أهون من أن تنطلق الحركة وهي منفصلة عن قاعدته الفكرية أو بنائها الاجتماعي لأن هذا الانفصال كان يعني النهاية الطبيعية للفكر والحركة معاً.

وبذلك اكتسبت الحركة الإسلامية الارتباط الجوهري بين الفكر والحركة وبين الفكر والبناء الاجتماعي وهذا الفكر أبقاها حتى الآن.

**● تجاوز الطرح التقليدي:**

والمقصود بالطرح التقليدي هو الطرح الموسمي الذي كانت عليه الدعوة قبل تطورها الأخير فقد كانت الدروس لا تتجاوز في جميع المساجد أحكام الطهارة والوضوء كما كانت الخطب محكومة بموسميتها سواء كانت في رمضان أو الحج أو الإسراء وكان ما يقال في عام يقال في الأعوام الأخرى ولكن الناس كانت تتجاوب مع الكلام بنفس العاطفة التي تعايش بها المناسبة فكانوا يسعدون بالكلام المتعلق بالإسراء مثلاً دون التفكير في القضية ذاتها مما أضاع على الدعوة فرص زمنية هائلة كانت كافية لتربية أجيال فاهمة ومتفاعلة ..

**● تجاوز قضايا الشبهات:**

كما تجاوزت الدعوة الشبهات التقليدية التي كان المستشرقون يوسوسون بها إلى أوليائهم من أدعياء الإسلام ومن أمثلة تلك الشبهات وأخطرها قضية الأمية ونقص عقل المرأة فاستطاعت الدعوة بمنهجيتها الفكرية وفاعليتها العلمية أن تقول وببساطة أن الأمية فضيلة من فضائل الأمة لأنها تعني تلقي الوحي بغير ثقافة مسبقة مستقلة فسلم بهذه الأمية موقف التلقي وظل النبع صافياً والوحي خالصاً من خطورة هذا التلوث ..ولم يتلوث بالثقافات المسبقة كما تلوثت المسيحية بالثقافة الرومانية واليونانية ..

وكما عبر الرسول ﷺ بأصابعه قائلاً «نحن قوم أميون الشهر هكذا وهكذا وهكذا» دل على بساطة العقل المسلم فإنما أراد بهذا التدليل الإشارة إلى واجب بساطة الطرح الدعوي على العقل البشري لينال الجميع حظه من الفهم وبنفس القدر الضروري لاعتناق الإسلام سواء كان يسكن كوخاً أو ناطحة سحاب عربياً أو أعجمياً.

كما أصبح من اليسير على كل مسلم الآن أن يفسر نقص عقل المرأة بكونه زيادة طبيعية في العاطفة هذه الزيادة التي تتناسب مع وظيفة المرأة العاطفية وأوضح أدلة تلك الزيادة هو تعامل المرأة مع الجنين الذي في بطنها فكأنها تتعامل مع إنسان ماثل أمامها ليس جنيناً في بطنها تسأله وترد بنفسها عن أسئلتها

تتوقع غضبه فتصالحه.. تستفتيه في مستقبله وتحدد هي..

وهذه المرأة الأم وقبل ذلك المرأة الزوجة التي تصدق زوجها في كل ما يقوله لها فإذا قال أنها أجمل من رأى فإنه يكون كاذباً وهي تعلم ذلك لأن هناك من هو أجمل منها يقيناً ولكنها تحبه يكذب عليها..

وإذا كان من نقصان العقل أن تسمع لمن يكذب عليك فيكون أشد النقصان أن تحب كذبه وترغب في استمراره ومن هنا وبهذه المعاني النبيلة ترتد السهام إلى نحور أعداء هذه الدعوة..

### العنصر الثالث: خطة أسلمة العلوم:

وقبل الكلام عن الخطة يجب تفسير الاسم فكلمة أسلمة العلوم لا تعني الربط الأكاديمي المطلق للعلوم وبين السند الشرعي في الإسلام..

لأن هذا لا ينطبق إلا على العلوم الشرعية ، ولكن ما نعنيه هو تجريد العلوم الأكاديمية من منطلقاتها الجاهلية مثل تجريد علم النفس من جميع النظريات الهادفة إلى الفصل بين الإنسان والدين وعندما نطرح تصورنا عن النفس والذي سيكون قائماً على انتماء الإنسان للدين سنفاجأ بأننا نطرح تصوراً إسلامياً لأن المضمون الإنساني في الإسلام هو الذي سيقيم هذا الربط وليس في غير الإسلام نجد هذا المضمون.

إذاً فنحن في هذا المحاولة لا نعاني عاطفة عصبية للإسلام بقدر ما نهدف إلى إعطاء هذه العلوم صفتها العلمية الصحيحة والتي ستثبت لهذه العلوم من خلال انطلاقها من التصور الإسلامي الصحيح.

ولعل علم الآثار من العلوم التي وضح فيها قيمة هذه المحاولة ذلك لأننا قد اكتشفنا من خلال أسلمة علم الآثار أن هذا العلم هو في مضمونه علم يهودي قائم على تفسير التوراة وموظف لإثبات التحريف الذي أصاب التوراة.

ومثال ذلك محاربة وجود حضارة عاد التي تعتبر عربية لأن نبيها كان هود وهو من أنبياء العرب الأربعة (هود-صالح-شعيب-محمد) عليهم الصلاة والسلام فنجد أن عاد كما غيبت من التوراة غيبت من علم الآثار والواقع أن الرجوع إلى سلفية الفهم ساعد كثيراً في خطة أسلمة العلوم ولعل الظواهر السلفية الجديدة (السنن التي أحياه الله في الأمة) دليل على فاعلية تلك الخطة وأهمها الحجامة في مجال الطب البشري، والمداواة بالعسل، وحبة البركة، والتمر، والرقى الواردة عن رسول الله ﷺ.

وفي مجال العلوم الطبيعية وخصوصاً علم الطاقة الكونية أصبحت الدعوة تملك افتراضاً لتفسيرها بعد العجز العلمي عن الوصول إلى حقيقتها.

وجدير بالذكر أن وكالة ناسا الفضائية الأمريكية لا تجد مفراً من افتراض الوحدة (المصدرية للطاقة الكونية) وتشعبها في جميع الكون ولكنها تقف عند هذا الحد عاجزة عن تفسير هذه الوحدة وهنا يتقدم الإسلام بهذا الافتراض فارضاً نفسه كحقيقة راجياً من الإنسان التعامل معه بتجريد للاستفادة منه..

وفي إطار أسلمة العلوم تنشأ مظاهرة قدرية وهي رؤية آيات الله في الأفاق وفي أنفسنا كما وعدنا الله .. وتظهر -مع تنامي الحركة الإسلامية- آيات ومعجزات تؤكد صواب التصور الإسلامي عن الكون والحياة والإنسان.

### العنصر الرابع: ضبط الخطاب الدعوي للعقل الغربي:

وكنتيجة لسلفية الفهم وأسلمة العلوم ورؤية الآيات والمعجزات العلمية أصبحنا نملك الخطاب الدعوي الصحيح للعقل الغربي الذي يدّعي أنه مع العلم وبالعلم يحيا فأصبحنا نملك في المرحلة القائمة اختيار القضايا المناسبة بأسلوبها المناسب في وقتها ومكانها ..

وتحديد العقل الغربي جاء باعتبار أن الغرب أصبح يزعم أنه السلطة السياسة الأولى في العالم مثلما أصبح المستوى التكنولوجي الأكثر تقدماً وأصبح مركزاً للدراسات العالمية والسيادة الاجتماعية والحقيقة أن الحضارة الإسلامية وفاعليتها الفكرية قادرة على استيعاب هذا النموذج لأنها مؤهلة لاستيعاب الواقع البشري كله مهما بلغت من سيطرة ومهما كانت العوارض الناشئة عن هذه السيطرة سواءً كانت كبراً أو غطرسة أو ترفاً أو زخرفاً أو قوة أو هيمنة.

إن طبيعة الحضارة الإسلامية بفاعليتها الفكرية قادرة على أن تأخذ زمام السبق في هذا الصراع الحضاري المحتدم وقد يكون هناك مفارقة بين الواقع الإسلامي كما نراه الآن وبين هذا التصور الذي نطرحه حول صراع الحضارات ولكن الأمر لا يقاس إلا بنظرة صحيحة إلى طريق الصراع ..

وأصبحت هذه النظرة الصحيحة إلى طريق الصراع تكون الإطار الثابت لفكر المواجهة بين الدعوة وأعدائها ليكون العنصر الخامس ..

### العنصر الخامس: ثبوت إطار المواجهة الفكرية للدعوة:

**١-استحقاق الأعداء للانهيار:**

لو ألقينا نظرة على الغرب سنكتشف انهياراً فكرياً ونفسياً واجتماعياً نشأت معه كل مظاهر الشذوذ والانحراف وتكاثفت معه حالات الانتحار الفردي والجماعي.

● **الانهيار الفكري:**

الذي جعل ادعاء النبوة والمذاهب المختلفة والجماعات السرية الغامضة (كفرسان الهيكل - الميثرا - اتباع كريشنا - جماعة جوبيتر) شبه ظاهرة يومية تفتت في جدار العقل الغربي وتقيم لبنة مهترئة لأضغاث أفكاره وسراب مفاهيمه..

أصبح من السهل إقناع الإنسان الغربي وفي أي لحظة بأي شيء حتى إقناعه بأنه من سلالة القرود أو من عباد النار، إن قيادة الرجل الغربي للبشرية قد انتهت لا لأن الغرب أفلس مادياً أو ضعف من ناحية القوة الاقتصادية والعسكرية ولكن لأن النظام الغربي لا يملك رصيده من الفكر والإبداع الذي يعطي للإنسانية حق الوجود ويعطيه حق القيادة..

إن الانهيار الفكري للنظام الغربي يظهر للأعمى والبصير يظهر حتى للطفل الصغير..

يظهر في معتقداتهم الدينية المهلهلة .. وهي لا تستقيم في عقل ولا ضمير .. وهذه الرأسمالية باحتكارها وما فيها من بشاعة كالحة .. وتلك الاشتراكية العفنة التي أنتجت فشلاً ذريعاً في عقر دارها وهذه الفردية الآثرة التي ينعدم معها التكافل إلا تحت مطارق القانون وهذا التصور المادي التافه الجاف للحياة..

● **الانهيار الجماعي:**

المتمثل في حرية البهائم التي يسمونها (حرية الاختلاط)، وسوق الرقيق التي يسمونها (حرية المرأة) .. والسخف والحرج والتكلف المضاد لواقع الحياة في نظم الزواج والطلاق والتفريق العنصري الحاد الخبيث .. هذا الانهيار الذي ضاعت معه كل مصطلحات البشرية الثابتة فلا تدري معنى لأب أو أم أو ابنة أو أسرة ..

تقطعت الأواصر وتفتت العلائق وانهارت القيم ..

● **الانهيار النفسي:**

والحالة النفسية التي جعلت الإنسان الغربي يهرب من كل شيء .. من حياته، من شخصيته، من نوعه يكون ذكراً ويتزوج في الكنيسة ذكراً، تكون أنثى وتجري عملية جراحية رغبة في الذكورة..

**٢- استحقاق المسلمين للنصر:**

في مقابل كل ما سبق نجد النظرة الصحيحة إلى الواقع الإسلامي لترى الامتداد القائم بين الحضارة الإسلامية القائمة الآن ونشأتها الأولى بكل قيمة وأخلاقه ومبادئه وإنسانيته ونرى الإنسان المسلم في صورته التي أرادها الله نموذجاً للجميع ونرى القرآن ونتلوه كأنه تنزل الليلة ..

وفي مواقع المواجهة تعلوا ظاهرة الشهادة في سماء الكون ويقدم المسلمون أكبر حجم من الشهداء وعلى بصيرة من الناس وتتفجر ينابيع الفهم من العقول المسلمة المنتشرة في مواقعها والملهمة من ربها في مسارها السلفي البين ونستطيع القول أن النتيجة محسومة عند الله ولكن المسألة مسألة وقت فقط..

إن حسابات الأمم والحضارات والدعوات وحسابات الشهادة والدماء كلها تتجه نحو تأييد هذه النتيجة لصالح الدعوة الإسلامية..

أما ما نراه الآن بغير هذه النظرة وبغير تلك الحسابات فهو غبار مثل الذي رآه رسول الله ﷺ في غزوة الخندق حيث رأى غباراً فيه مدائن كسرى ثم تبدد وقصور قيصر ثم تبدد وبقى الحجر الذي كان أمام رسول الله ﷺ مفتتاً لتكون غزوة الخندق بداية لخلافة هارون الذي كان يقول للسحاب أمطري حيث شئت فسيأتيني خراجك.

### العنصر السادس: وضوح ملامح إنسانية الفكر الإسلامي:

إن الضرورة الإنسانية للدعوة حقيقة أولية ذلك أن إنسانية الأنبياء حكم رباني لا راد له ﴿وما أرسلنا قبلك إلا رجالاً نوحي إليهم﴾، وحتى لو كان الأمر يتطلب من حيث القدرة على المهمة أن يكون النبي ملكاً لكانت صورة هذا الملك هي أيضاً رجل ﴿ولو جعلناه ملكاً لجعلناه رجلا﴾.

إذن فإن إنسانية الأنبياء حتمية قدرية، والأنبياء هم أول الدعاة، وبداية الدعوة، ومن هنا جاءت أول علاقة بين الإنسان والدعوة..

إن الفاعلية الإنسانية في واقع الدعوة يمثلها بصفة أساسية تصرف بلال عند قراءة القرآن حيث كان ينتقل من سورة إلى سورة فقال رسول الله ﷺ: «مثل بلال كالنحلة تقع على طيب وتعطي طيب وهو حلو كله». إن المثل الذي ضربه رسول الله ﷺ هو مثل الإنسان في الدعوة فالدعوة ليست مجرد نصوص ولكنها إنسان يمتص رحيق هذه النصوص، المحصلة الثلاثية بين النص والرحيق وبين الإنسان والنحلة، هي التي تعطي العسل الذي يكون فيه الشفاء..

من أهم الحقائق الأساسية الثابتة في التصور الإسلامي للنفس أن واقع الدعوة هو واقع الإدراك الكامل والصحيح للإنسان وذلك أن واقع الدعوة هو الإنسان الداعية المؤثر بذاته وشخصيته في مواجهة الإنسان المدعو بحقيقته وطبيعته، ولذلك ينكشف الإنسان أمام الدعاة بكل احتمالات الدعوة سواء بالاستجابة فيتحقق في الإنسان صفته الإنسانية الكاملة أو بإعراضه فتظهر في الإنسان أعراض البهيمية السائمة..

١- وبذلك تكون الدعوة هي البيئة القياسية لدراسة النفس البشرية.

٢- وتكون النصوص الشرعية الواردة عن رسول الله ﷺ هي صيغة المنهج القياسي لتلك الدراسة..

٣- ويكون النبي ﷺ باعتباره الأسوة الحسنة للدعاه هو النفس القياسية ..

وللحديث بقية إن شاء الله تعالى. ■

(١) يراجع كتاب عندما ترعى الذئاب الغنم ج٢ لكاتب المقال حيث طرح الكتاب بالأدلة الشرعية أن جهنم مصدر هذه الطاقة.
(٢) الغضن الذهبي «جيمس فايزر».